

المصطلح بين الإشارة والدلالة

La terminologie: entre signification et désignation

خديجة مراكشي

أستاذة مساعدة بقسم الترجمة

جامعة الجزائر

يمثل معجم اللغة العامة مجموع المفردات التي تتوفر عليها لغة ما ويوظفها الناطقون بها بغرض تحقيق عملية التواصل وتحقيق وظائف لغوية أخرى منها الوظيفة الشعرية¹ بحسب ياكوبسن (Jacobson) و التعبيرية، المرجعية، التبليغية والميتالغوية حسب مارتيني (Martinet)²، ويشتمل المعجم على مجموع المفردات المحققة في كلام الأفراد عند استعمالهم للغة بالإضافة إلى مجموع المفردات المفترضة أي الموجودة في اللغة دون أن يستعملها الناطقون ويمكن اللجوء إلى استعمالها إذا اقتضت الضرورة. ولا يمكن للناطقين بلغة معينة الإحاطة علما بمفردات اللغة كافة، وحتى المفردات التي يعرفها الفرد لا تستعمل كلها. وعلى هذا الأساس قام ميشيا (Michéa)³ بدراسة المفردات الأساسية في اللغة الفرنسية، وتوصل إلى أن حاجيات الأفراد اللغوية يمكن أن توفر من خلال استعمال مجموعة من الألفاظ تقدر بـ 1475 لفظة منها الأسماء بنسبة 46,9% ، تليها الأفعال بنسبة 22,9%.

يتكون معجم اللغة من جزأين: أولهما مستعمل بالفعل (موظف في كلام الأفراد)، وثانيهما موجود بالقوة (موجود في اللسان ويمكن للأفراد أن يستعملوه).

هذا الجزء الموجود بالفعل هو الذي يطلق عليه تسمية "المفردات" Le vocabulaire. فالمفردات هي مجموع الألفاظ التي يوظفها الأفراد من خلال كفاءاتهم اللغوية في حال من أحوال التخاطب. ويعتبر كل من كوست

وغاليسون (Coste & Galisson)⁴ المفردات التي يستعملها المتكلم، مجموعة جزئية من المجموعة الكلية المتمثلة في المعجم.

"... Le vocabulaire de ce locuteur est donc une partie du lexique tout entier, un sous ensemble, un échantillon de cette population."

ويرى فاغنر⁵ (Wagner) أن ما يميز المفردات عن المعجم هو من جهة، قابليتها للإحصاء (عكس المعجم) وقابليتها للوصف من حيث هي مجموعة جزئية من المجموعة الكلية أي المعجم، وتخص هذه المجموعات الفرعية مفردات أفراد ينتمون إلى ميدان مهني معين إذ نجد مفردات الأطباء، والمهندسين... أو مفردات مؤسسة أو هيئة مثل مفردات مصنع النسيج على سبيل المثال. ويركز مونا (Mounin)⁶ على الخاصية الإحصائية للمفردات حيث يعتبر المعجم "كمية افتراضية بحتة" «une quantité purement hypothétique» بينما تتجسد المفردات من خلال استعمالها في النصوص. وعلى هذا يمكن أن تدرس مفردات كاتب معين لأنها تعد عينة ومجموعة جزئية من معجم اللغة.

كذلك تسمى هذه المجموعات الجزئية بالمعاجم المتخصصة (les lexiques spécialisés) للدلالة على الوحدات المعجمية الموظفة في ميادين معينة في رأي مارتن بيرتي وليمان:⁷ (Martin-Berthet & Lehmann)

«Le lexique général est commun à tous les locuteurs ; les lexiques de spécialité sont liés à un domaine : science (chimie, astronomie), science et technique (informatique), métier (menuiserie), activité (jardinage).»

إذاً ثمة ترادف بين كلمتي معجم "متخصص" و"مفردات" في مقابلة "معجم".

تستند دراسة المعجم والمفردات والمصطلحات على تحديد الوحدات الدلالية، غير أن اللسانيين والباحثين لا يتفقون على أن اللفظة وحدة دلالية صغرى. فمارتيني (Martinet)⁸ مثلاً يحدد الوحدة الدلالية المعجمية الصغرى بالمونيم (monème) كما يقترح استبدال "اللفظة" (mot) بـ "le sylème"

و⁹ «synthèse». ويصف فيني ودربلني (Vinay & Darbelnet)¹⁰ نقلا عن دولاكروا (Delacroix) اللفظة بأنها "سديمية فكرية" (Une nébuleuse intellectuelle). لكن هذه الحجج ضد اللفظة، لم تؤد إلى إقصائها من الاستعمال في الدراسة المعجمية، على الرغم من شيوع مصطلحات أخرى مثل اللكسي (lexie)، الوحدة المعجمية (unité lexicale)، واللكسيم (lexème) والمصطلح (terme).

يعيد بولكير¹¹ (Polguère) طرح إشكالية 'اللفظ' والغموض الناتج عن استعماله في الدراسة اللسانية ولكن أي غموض ينتج عن استعمال "اللفظ" يرجع إلى التعريف الذي ينسب إليه هذا المصطلح.

يستعمل "لفظ" في هذه الدراسة حسب تعريف مورترو¹² (Mortureux) بوصفه دليلاً معجمياً ذو دال ومدلول يشير إلى عناصر متميزة من الواقع. هذه القدرة المرجعية تظل محتملة طالما أنها لم تتجسد من خلال توظيف اللفظ في الخطاب.

«Le mot est un signe, c'est le signe lexical. Comme signe, il a un signifiant (sa prononciation à l'oral et son orthographe à l'écrit) et un signifié (sa signification). Comme signe lexical, il a la capacité de référer à des éléments distincts, des «segments» (selon Milner) de la réalité. Cette référence reste virtuelle tant qu'elle ne se trouve pas actualisée par l'emploi du mot dans le discours.»

وإذا كان التحليل اللساني لا يعد اللفظ أصغر وحدة دلالية فهذا لا يعقد الدراسة طالما أن الألفاظ تدرس من حيث ظهورها في السياق، فالخطاب لا يحتوي مجموعة من الوحدات الدالة إذا لم تنتظم في شكل مفردات أو ألفاظ، وهذا ما يعبر عنه بيرني (Pergnier)¹³ بقوله:

«Une phrase peut comporter un nombre indéterminé de mots mais elle ne peut pas comporter

a) moins d'un mot

b) un nombre non entier de mots».

تختلف دلالة الألفاظ على المعاني من لسان إلى آخر فإذا أمكن المقارنة بينها من الناحية الصرفية و الوظيفية فهذا غير ممكن من حيث المرجعية أي من حيث دلالتها على الواقع.

تتخذ الكلمة شكلا معينا، إذ قد تكون من الناحية الصرفية مركبة، أو مشتقة أو مقترضة، ومن الناحية الوظيفية قد تكون مسندا أو مسندا إليه أو فضلة. ويمكن المقارنة بين ألفاظ الألسن المختلفة من هذا المنظور. على حين أنه لا يمكن المقارنة بينها من حيث دلالة كل منها على المعنى لأن ألفاظ لسان ما قد لا تحيل إلى نفس المعاني التي تحيل إليها نفس الألفاظ في لسان آخر.

مثلا: لنقارن بين مجموع المفاهيم الذي تحيل إليه كلمتا (Purger) الفرنسية و (To purge) الانكليزية من الناحية التقنية.

<i>Petit Larousse illustré 1990</i>	<i>Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English, 1995</i>
1- (sens médical) : provoquer l'évacuation intestinale	/
2- (Tech) - Vidanger entièrement - Eliminer d'un récipient ou d'une enceinte fermée les gaz, les liquides ou les résidus indésirables.	/

تكوين المترجمين والتراجمة بالجزائر

3- Eliminer d'un pays, d'un groupe les éléments jugés indésirables ou dangereux	3- Sth (of sb) - (Sb from Sth) : to ride an organization, esp a political party, of people considered to be undesirable
4- Purger une peine de prison, la subir, demeurer détenu pendant le temps de la peine.	/
5	5- One self /sb/sth (of sth) to make oneself (sb) or (sth) pure or healthy by removing sth bad or undesirable

وسوف نلاحظ أن المفاهيم التي تدل عليها كلمة (purger) الفرنسية أوسع من تلك التي تدل عليها كلمة (to purge) الانكليزية. فالانكليزية تستعمل كلمة أخرى للدلالة على المعنى (2) هي to bleed بالنسبة لـ (vidanger entièrement) و (to blow out) بالنسبة للمفهوم التقني الثاني. وكل من (to bleed) و (to blow out) تحيلان بدورهما إلى مفاهيم أخرى لا تحيل إليها كلمة (purger) الفرنسية مثل (to bleed) تحيل إلى مفهوم التزيف الذي لا تحيل إليه كلمة (purger) بل كلمة (saigner) في الفرنسية. بينما يدل المعنى الخامس في اللغة الانكليزية دلالة ضمينا على المعنى الأول في الفرنسية.

ويمكن أن نفسر عدم تطابق مفاهيم الكلمة الواحدة في اللغتين من خلال تفسير الكيفية التي تحيل بها كل كلمة في اللغة الواحدة أن كل كلمة في اللغة إلى تسميات (des désignations) عدة دون أن يخل ذلك بوحدها الذاتية التي يعبر عنها ¹⁴ (Pergnier) بالدلالة "la signification" من خلال هذه الثنائية (Signification vs Désignation) الإشارة مقابل الدلالة.

يحاول بيرني أن يشرح نظام المفردات داخل اللغة الواحدة وكيفية إيجاد المعادلة بين منظومتين لسانيتين، وذلك بالتمييز بين الإشارة والدلالة حيث أن كل دليل "يدل على مجموعة من المفاهيم والدلالة هي العلاقة الرمزية الموجودة بين الدليل والمفهوم أو المفاهيم".

"Nous dirons que tout signe désigne un ensemble de concepts et que la désignation est le rapport symbolique établi entre un signe et un (des) concept(s)."

يعطي بيرني (Pergnier)¹⁵ مثالا على ذلك: كلمة Tableau الفرنسية التي تدل على مجموعة من المفاهيم منها ألما تدل على لوحة فنية (Tableau de peinture) أو على أسماء هيئة ما (La liste des membres d'un corps) أو على مجموعة ألواح مترابطة تستعمل في المدارس و تتمثل في السبورة. بينما يخص مصطلح "Signification" للإحالة على "القيمة التي يكتنفها الدليل من خلال "العلاقات والاختلافات مع مفردات اللغة الأخرى التي تظهر داخل المدلول، على شكل " ثابت معنوي".

"Par contre, nous réservons le terme de signification à la valeur qu'acquiert le signe par les "rapports et les différences avec les autres termes de la langue", et qui se manifeste, à l'intérieur du signifié, comme un invariant sémantique."

ويعني بيرني بـ "الثابت المعنوي" المعنى الذي تقيده الكلمة الذي يوجد في المفاهيم التي تحيل إليها هذه الكلمة، فالسمة المعنوية المميزة لكلمة "tableau" مثلا، هي "الشيء المسطح الذي يشكل مساحة". يمكن أن تحتوي على رسم كما هو حال المفهوم الأول، أو على أسماء كما هو في المفهوم الثاني أو مساحة خالية معينة لاحتواء مختلف الرسومات والكتابات كما هو حال المفهوم الثالث وإذا أضفنا مفهوم "un tableau de bord"، تصبح مساحة معينة لاحتواء مختلف أزرار التشغيل.

وعليه فالفرق بين الإشارة (désignation) والدلالة (signification) هو الذي يسبب عدم تطابق الألفاظ بين اللغات المختلفة، لأنه إذا كان للفظ الواحد المعنى نفسه في اللغتين فهو لا يحيل إلى المفاهيم نفسها بمعنى أن دلالاته تختلف من لغة إلى أخرى كما هو الحال في المثال السابق (To purge) و (Purger).

ويمكن القول أن كلمة (purger) الفرنسية تعني "كل عملية إخلاء وتطهير"، وأنها تدل على مفاهيم متعددة هي في التعريف (1) إفراغ، إخلاء محتويات الأمعاء، وفي التعريف (2) إفراغ تام لمحتوى معين قد يكون غازا أو سائلا أو غير ذلك، وفي التعريف (3) إخلاء أو إفراغ حزب من عنصر غير مرغوب فيه، وفي الحالة (4) "إفراغ" مدة زمنية في السجن (إذ شبه الزمن بكمية قابلة للعد والاحتواء في حاوية ما كالماء. فكأن الزمن سائل أو غاز يفرغ بالتدريج).

نلاحظ أن السمة المعنوية المميزة الموجودة في كل هذه التعريفات هي "الإخلاء والإفراغ" وتضاف إليها في كل تعريف سمات دلالية أخرى. وإذا كنا نجد "معنى" «to purge» نفسه في اللغة الانكليزية، فإن دلالاته تختلف حيث لا تتقاطع الدلالات بين اللغتين سوى في المفهوم (3)، ونجد في اللغة الانكليزية مفهوما آخر لا تحيل إليه اللغة الفرنسية وهو إفراغ الجسد أو الذاكرة من أمر غير مرغوب فيه كما هو مبين في المثال التالي:

مثلا :

"She wanted to purge these memories from her mind (Oxford)".

وقد دفع هذا الاختلاف بين المفاهيم من لسان إلى بيبرني¹⁶ (Pergnier) إلى التأكيد على ضرورة ترجمة المفردات على مستوى الدلالة لا على مستوى المعنى.

«On en tirera évidemment comme conséquence pratique pour la traduction qu'un exercice bien compris de cette activité ne devra jamais chercher à transposer la signification du mot mais sa désignation.»

ويؤكد مجددا¹⁷ عدم إمكانية ترجمة كل مدلول الدليل كما لا يمكن ترجمة معناه، وكل ما يمكن ترجمته هو دلالة.

"On ne peut pas traduire tout le signifié d'un signe, on ne peut pas traduire sa signification, on ne peut traduire que ce qu'il désigne"

يظهر من خلال ما سبق أن ألفاظ الألسن المختلفة لا تتكافأ، حيث يتميز كل لفظ بمجموعة من السيمات الدلالية التي لا تطابق تماما السمات الدلالية للفظ المقابل في لغة أخرى وعلى هذا الأساس لا تعتبر ألفاظ الألسن المختلفة مترادفة حتى لو بدت كذلك، فالألفاظ تنتظم حسب ترتيب يختلف من لغة إلى أخرى.

1. R. Jakobson, 1963, «Le langage commun des linguistes et des anthropologues», *Essais de linguistique générale*, traduit par Nicolas Ruwet, Paris, les éditions de Minuit, p 42.
2. A. Martinet, 1970/1991, *Eléments de linguistique générale*, Paris, Armand Colin, 3ème édition, pp 9-10.
3. R. Michéa et al., 1969, *L'élaboration du français fondamental (1^{er} degré), Etude sur l'établissement d'un vocabulaire et d'une grammaire de base*, Paris, Didier, p 206.
4. R. Galisson, et D. Coste, 1976, *Dictionnaire de didactique des langues*, Paris, Hachette, p 317.
5. R.L. Wagner, 1967, *Les vocabulaires français, I- Définitions, les dictionnaires*, Paris, Didier, p17.
6. G. Mounin, 1972/ 1997, *La sémantique*, Paris, Petite Bibliothèque Payot, p 103.
7. A. Lehmann, F. Martin-Berthet, 2003, *Introduction à la lexicologie, sémantique et morphologie*, Paris, Nathan Université, p 5.
8. A. Martinet, 1970/1991, *Eléments de linguistique générale*, Paris, Armand Colin, p102 : "...La première opération ici consiste à analyser les énoncés ou fragments d'énoncés en leur unité significatives successives minima que nous désignons comme des monèmes."

9. أنظر :

- A. Martinet, 1989, «Les unités significatives», *Fonction et dynamique des langues*, Paris, Armand Colin, pp 127-148.
10. J.P. Vinay, J. Darbelnet, 1972, *Stylistique comparée du français et de l'anglais, Méthode de traduction*, Paris, Didier, p 36.
11. Voir chapitre 3 : L'unité lexicale ou lexie, dans A. Polguère, 2003, *Lexicologie et sémantique lexicale. Notions fondamentales*, Québec, Les Presses de l'Université de Montréal, pp 41-53.
12. M-F. Mortureux, 1997, *La lexicologie entre langue et discours*, Coll. Linguistique, Paris, éditions SEDES, p 21.
13. M. Pergnier, 1986, *Le mot*, Presses universitaires de France, p 102.
14. M. Pergnier, 1993, *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*, Presses universitaires de Lille, 113.
15. M. Pergnier, *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*, Presses Universitaires de Lille, 1993, p 113.
16. Idem, p 119
17. Idem, p 119